مقابر نظام صدام الجماعية

كان مسئولي الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية من بين أوائل الأشخاص الذين زاروا مواقع المقابر الجماعية في العراق. تم تحديد أكثر من ٢٧٠ موقعاً.

في أوائل أيار/مايو ٢٠٠٣، ذهب سلون مان التابع للوكالة الأمريكية للتنمية الدولية إلى الحلة للتحقيق في بعض المواقع المشتبه بإخفائها مقابر جماعية. قال مان، «ذهبت هناك بعد يومين من اكتشاف المقابر الجماعية. عندما وصلت إلى المكان، كان الناس يحفرون الموقع بطريقة عشوائية... وكان الأطفال يمشون حفاة في المقبرة. كان هناك العديد من العائلات. وكان هناك بكاء ونواح. وكان هناك متفرجين فضوليين.»

وكان هناك مشهد رهيب غطى الأرض الصحراوية في أكبر قاعدة عسكرية في العراق: الوالدين والزوجات والأخوان يبكون على لفافات من القماش الأبيض تحتوي على ما تبقى من أحبائهم: عظام أو بطاقة هوية أو أحياناً ساعة أو قطعة مجوهرات.

هؤلاء هم الأشخاص الذين أخذوا من فراشهم أثناء الليل في مئات من القرى الكردية في الثمانينات، أو جمعتهم قوات صدام في وضح النهار في المدن الشيعية في الجنوب في التسعينات، واختفى معظمهم دون ترك أي أثر. وقد أثبتت هذه المقابر الآن أن شائعات القتل الجماعي والرمي بالرصاص على حافة المقابر الجماعية هي حقيقة كريهة ومرعبة.

الذي وجده مان هي مقبرة من أوائل المقابر الجماعية في العراق. في كانون الثاني/يناير ٢٠٠٤، تمَّ تحديد ٢٧٠ موقعاً لمقابر جماعية مشتبه بها، وتمَّ التأكد من ٥٣ موقعاً منها. تحتوي بعض المقابر على بضعة عشرات من الجثث، ويغطي البعض الآخر مئات الأمتار، صف بعد آخر من الجثث. لا أحد يعرف عدد المتوفين المدفونين في هذه المقابر. وقد قال رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير أن العدد يبلغ ٤٠٠ ألف، بينما قالت منظمة «هيومان رايتس واتش» أن العدد هو ٢٩٠ ألف.

كان مان أحد الموظفين الرسميين الذين أرسلتهم الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية إلى العراق في ربيع ٢٠٠٣ لتفادي وقوع جرائم القتل للأخذ بالثأر، أو الهجوم على الضعفاء أو انتهاكات أخرى لحقوق الإنسان في أعقاب القتال.

توماس هارتويل

عراقيون وموظفوا المساعدات الأمريكية يخرجون أول جثة من بين مئات آلاف الجثث المدفونة في المقابر الجماعية أثناء حكم صدام حسين.

توماس هارتويل

عراقيون يفتشون على أقارب وأصدقاء بين الضحايا الذين تمَّ العثور عليهم في المقبرة الجماعية في المسيب، على بعد ٧٥ كيلومتراً جنوب غرب بغداد. يعتقد بأن المدفونين هم ضحايا ثورة ١٩٩١ ضد الحكومة العراقية. بعد أن تم لفهم في قماش أبيض، وضعوا في مركز مجاور للشباب حتى يمكن تعرف أقاربهم عليهم من أوراق الهويات أو الثياب أو المجوهرات التي وجِدت مع العظام.

توماس هارتويل

امرأة عراقية حزينة بالقرب من بقايا فردين من عائلتها وجدا في مقبرة جماعية في المسيب.

في غضون أقل من شهر من زيارة مان للحلة (قام فيما بعد بتقييم مواقع في سجن الرضوانية والمسيب وفي ثلاثة أماكن في المحاويل)، أعطت الوكالة منح لمساعدة العراقيين على حماية المواقع وإخراج الجثث من المقابر لتحديد هويتهم بحسب الأصول.

قدمت الوكالة منحاً إلى جمعية السجناء الأحرار وجمعية المحامين ومجموعات حقوق الإنسان لشراء أجهزة كمبيوتر وتسجيل أسماء المفقودين في قوائم، وتعقب مواقع المقابر الجماعية المشتبه بها، وربط الضحايا بعائلاتهم، والمحافظة على المستندات المتعلقة بالتعذيب والاختفاء وتنفيذ أحكام الإعدام بمئات الآلاف من المدنيين العراقيين.

«فوق كل شيء، إذا أراد الناس في العراق وحول العالم التعلم من جرائم الماضي، يجب توثيق مقابر العراق الجماعية والإبلاغ عنها وعدم نسيانها أو نكرانها أبداً.»

أندرو ناتسيوس،
مدير الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية

توجد ثلاث فئات من المقابر الجماعية:

- **مواقع مكتسحة:** بعثرها الناس بحثًا عن أقاربهم وأصدقائهم. بما أنه تمَّ حفرها ومن الصعب إيقاف الناس من إكمال بحثهم، تدرِّب الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية العراقيين على مساعدة المجتمع المحلي من الناحية النفسية ولتجميع أي معلومات ممكنة.
- **مواقع إنسانية لإخراج الجثث:** يقوم المهنيون بتعليم العراقيين على كيفية وضع العظام معاً وتحديد هوية الأشخاص من بقايا الجثث وتقرير الطريقة التي ماتت فيها الضحايا.
- **مواقع تحقيق جنائي كامل:** سيتم اختيار ما بين ٨ إلى ٢٠ موقعاً للاستعمال في المحكمة العراقية الخاصة التي أنشأها مجلس الحكم العراقي لمحاكمة قضايا الجرائم ضد البشرية وجرائم الحرب والإبادة الجماعية.

توماس هارتويل

عراقيون يقومون بتحديد هوية بقايا جثة ضحية في مقبرة جماعية في المسيب. تمَّ تحديد ٢٧٠ موقع لمقابر جماعية في جميع أنحاء البلاد.

توماس هارتويل

رجل يحمل بطاقة هوية عثر عليها في مقبرة جماعية في المسيب، ٥٠ ميلاً جنوب شرق بغداد.

سالي هوبغسون / وزارة الخارجية الأمريكية

جان جيران الموظف الرسمي المسئول عن منع انتهاكات حقوق الإنسان والتابع لفريق الرد على الكوارث والإغاثة يفحص قبراً جماعياً بالقرب من البصرة. تقدر منظمة «هيومان رايتس واتش» وجود عدة مئات من الأشخاص في هذا الموقع.